مكتبة الأرواح الضائعة

إكرام حجام

مكتبة الأرواح الضائعة

إكرام حجام

إكرام حجام

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : مكتبة الأرواح الضائعة

المؤلف: إكرام حجام

غلاف الكتاب : سارة رأفت

موك اب الكتاب : سوسن سعيد

تنسيق داخلي : منى مجدى

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الإهداء

إلـــى أولئـــك الـــذين يخفـــون وراء ابتســـاماتهم ممـــرّاتٍ مظلمـــة ، إلـــى القلـــوب التـــي تصـــرخ بصـــمتٍ ولا يســـمعها أحـــد ، إلـــى كـــل مـــن حمـــل ســـرًّا لـــم يســـتطع قولـــه ، وإلـــى مـــن عبرني دون أن يدري .. هذا الكتاب لكم.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

المقدمة

في مكانٍ لا يزوره الضوء ، وُجدت يونا لم تكن تعرف إن كانت هبةً أو لعنة ، كل ما كانت تملكه هو قدرتها الغريبة على العبور إلى مشاعر الآخرين بمجرد لمسهم.

كانت العيون بالنسبة لها أبوابًا والقلوب ممراتٍ طويلة تفضي إلى دهاليز لا يجرؤ أحد على السير فيها.

لم تكن تبحث عن الخلاص ، ولا عن المجد .. كانت فقط تريد أن تفهم :

هل ما تراه انعكاس للآخرين ، أم انعكاسٌ لروحها هي؟

هكذا بدأت الحكاية.. رحلة بين الظلال والوجوه الأربعة حيث يصبح الصمت

لغــةً ، واللمــسُ عبــورًا والنهايــةُ ســؤالًا بــلا جواب.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الأول

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

باب لا يراه أحد

لم أكن أبحث عن شيء ، ولم أكن أفتّش عن معنى .. كنت فقط أمشي كعادتي في شارع يبتلعه الغروب ، حين توقّفت قدماي أمام باب لم يكن موجودًا من قبل.

كان الباب ضيّقًا ، عتيقًا ، كأنه نُزع من جدار قديم وزُرع هنا بلا سبب.

لا لافتة ، لا مقبض ، فقط خشب يتنفس غبارًا عالقًا برائحة تشبه الورق المبلل بالدموع.

مددت يدي بتردد ، وما إن لمست سطحه حتى شعرت بحرارة غريبة تسري في جسدي ، كأن أحدهم فتح فجأة درجًا صدئًا داخل قلبي.

انشــقّ البــاب بــبطء ، وانســكب الضــوء مــن شقوقه كأنه يهمس باسمي.

دخلــت .. لــم يكــن المكــان غرفــة ولا بيتًــا ولا شيئًا أعرفه.

كــان فضــاءً تتــدلى فيــه رفــوف عاليــة لا تنتهــي ، ممتلئــة بكتــب غريبــة ، ليســت مــن ورق ، بــل مــن جلــد باهــت يلمــع كمــا لــو كان حيًا.

بعــض الكتــب ينــبض كصــدر نــائم وبعضها يئن كجدار يتصدّع.

اقتربــت مــن أول كتــاب ، كانــت عليــه ندبــة ســوداء ، وعنــدما لمســته .. انفتحــت عيناي في مكان آخر.

الكتاب الأول "الطفل"

كنتُ داخل طفل لا يتجاوز الخامسة أتنفس بخوفه ، أسمع دقات قلبه كأنها صدى خطواتي.

الغرفة التي يسكنها ضيقة ، سقفها منخفض ، والجدران متآكلة برطوبة باردة.

على السرير الحديدي لعبتان صامتتان دمية فقدت عينها ودب صغير ممزق.

شعرت أن الظلام في تلك الغرفة ليس عاديًا ، بل كائن جائع ، يقترب مني شيئًا فشيئًا.

صرخ الطفل .. فصرختُ أنا.

لكن لا أحد جاء .. ثم فجأة انطفأت اللحظة.

وجـــدت نفســـي واقفًـــا مجـــددًا وســـط المكتبـــة والكتـــاب بـــين يـــدي مـــا زال ينـــبض بـــبطء كأنه انتهى للتو من التنفس.

"ربمـــــا لا تمـــــوت الأرواح فعـــــلًا .. ربمـــــا تظـــل حبيســـة فـــي قصـــص لـــم تُكتـــب للنهايـــة تنتظـــر عـــابرًا مثلـــي ليكمـــل الحكايـــة ، أو على الأقل ليشهدها."

الكتاب الثاني" المرأة"

مدفوعًا بالفضول ، سحبت كتابًا آخر من رف أعلى ، كان مغطى بخيوط دقيقة تشبه شعرًا أبيض طويلًا.

ما إن فتحته .. حتى وجدت نفسي أمام مرآة كبيرة ، وفيها انعكاس امرأة لم أرها من قبل.

كانت تقف في غرفة واسعة ، جدرانها مليئة بلوحات لم تكتمل.

ألوان متناثرة ، خطوط مشوشة ، وجوه بدأت تتشكل ثم توقفت فجأة.

كانت الرسامة تبكي ، ويدها المرتجفة لا تستطيع أن تلمس الفرشاة.

ثم سمعتها تهمس :

"لـــم أســـتطع أن أرى النهايـــة .. عينـــي انطفأت قبل أن أُنهي الضوء."

شـــعرت بصـــداع حـــاد كـــأن عتمـــةً اجتـــاحتني ثـــم ابتلعتنـــي فجـــأة عـــودةٌ عنيفـــة إلـــى المكتبة.

الكتـــاب أغلـــق نفســـه بـــين يـــدي ، وأســـقط مني خيطًا أبيض طويلًا على الأرض.

"كـل حلـم لـم يُكتمـل .. يتـرك أثـرًا يتيمـاً فـي العالم."

رفعـــت رأســـي إلـــى الرفـــوف الممتـــدة بـــلا نهاية.

آلاف ، ربمـــا ملايـــين الكتـــب ، كـــل واحـــد منها حياة ناقصة.

تســـاءلت : هـــل أنـــا قـــارئ أم شـــاهد جنـــازة؟ هل جئتُ صدفة أم أن المكتبة نادتني؟

وبينمـــا كنـــتُ أغـــرق فـــي هـــذه الأســـئلة سـمعت فجـــأة صـــوتًا خافتًـــا يتـــردد بـــين الرفوف :

"لقد تأخرت كثيرًا..."

تجمدت في مكاني .. لم أكن وحدي.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثاني

حكايات مقطوعة

لـــم أرَ أحـــدًا ، لكـــن الصـــوت كـــان قريبًـــا جـــدًا ينساب مثل ريح باردة بين الكتب.

بحثـــت بعينـــي ، رفًـــا رفًـــا ، فلـــم أجـــد ســـوى الظلال.

عـــدت لأتـــنفس بعمـــق ، محـــاولًا اســـتيعاب أننـــي فـــي مكـــان لـــم يعـــد يشـــبه أي شـــيء مـــن العالم الذي تركته خلف الباب.

أمســـكت كتابًـــا ثالثًـــا .. كـــان صـــغيرًا ، مغلفًـــا بجلد خشن تفوح منه رائحة صدأ.

فتحته..

الكتاب الثالث " الجندي"

كنت على أرض معركة.

دخـــان، صـــراخ ، أجســـاد ملقـــاة ، وســـماء محمّلة ببارود أسود.

كنـــت جنـــديًا يـــركض دون وجهـــة ، يحمـــل بندقية أثقل من جسده.

شـــعرت بقلبـــي يخفـــق بجنـــون ، وجســـدي يرتعش من الخوف.

لـــم أرَ أعـــداءً بقـــدر مـــا رأيـــت موتًـــا يتنـــاثر في كل اتجاه.

ركضت ، ثم سمعت صفيرًا حادًا.

جسدي سقط فجأة ، كأن الأرض ابتلعته.

آخـــر مـــا أحسســـت بـــه هـــو الطـــين البـــارد يلتصـــق بـــوجهي ، وصـــوت داخلـــي يهمـــس:

"لم أُولد لأقتل .. بل لأُقتل."

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

فتحـــــت عينـــــي فـــــي المكتبـــــة ، والكتـــــاب يتساقط من يدي كحجر ثقيل.

الكتاب الرابع " الغريب"

رفعت بصري إلى رف أعلى ، حيث كتاب أزرق داكن يضيء بخفوت غريب.

مددت يدي .. وما إن لمسته حتى شعرت بقشعريرة عنيفة.

وجدت نفسي في شارع مظلم ، تحت مطر بارد.

كنت رجلاً يسير وحيدًا ، لا يعرف اسمه.

كل الوجوه التي مررت بها كانت بلا ملامح ، كأنها أقنعة بيضاء تتحرك.

صوت داخلي يكرر : "أنا لا أنتمي .. لم أنتمِ يومًا."

ابتلعتني المكتبة من جديد.

هـــذه المـــرة ، ســـقطت علـــى ركبتـــي أنفاســـي متقطعـــة ، كـــأنني عبـــرت موتًـــا آخر.

"كـــل حكايـــة ناقصـــة تلتصـــق بـــي كندبـــة جديـــدة .. كـــم مـــن النـــدوب أســـتطيع أن أحتمل قبل أن أفقد وجهي الحقيقي؟"

عنـــد هـــذه اللحظـــة ، ســـمعت الخطـــوات لأول مرة.

لـــم يكـــن وهمًـــا .. كـــان أحـــدهم يقتـــرب بـــبطء بثبـــات ، كأنـــه يملـــك كـــل الوقـــت فـــي هـــذا العالم.

صـــوت ثقـــل عصـــا خشـــبية يلامـــس الأرض مـــع كـــل خطـــوة .. تجمـــدت.

وظهـــر مـــن بـــين الظـــلال رجـــل طويـــل القامـــة

بـــرداء أســـود قـــديم ، عينـــاه تلمعـــان كبقعتـــين من رماد مشتعل.

قال بصوت عميق :

"أهـــلاً بـــك فـــي مكتبـــة الأرواح الضـــائعة يـــا يونا."

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثالث

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لعنة أم هبة؟

وقف الرجل أمامي بصمت ، كأن حضوره وحده يملأ المكان.

كان أطول مما توقعت ، بردائه الأسود الذي ينسدل حتى الأرض ، ووجهه نصف غامض ، نصف واضح كأنه لم يكتمل هو الآخر.

في يده عصا خشبية داكنة ، تنقر الأرض مع كل حركة ، وكأنها توقظ المكتبة نفسها.

قال : تأخرتِ كثيرًا ، يونا.

ارتجفت لم أذكر أنني أخبرته باسمي ولا حتى أنني متأكدة من أنني ما زلت أملك اسمًا.

تمتمتُ : من أنت؟ وما هذه الكتب؟

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

ابتسم ، وكانت ابتسامته أشبه بشرخ في جدار قديم.

-هذه ليست كتبًا ، يا يونا .. إنها أرواح.

كل كتاب هنا هو حياة توقفت قبل أن تكتمل.

وأنت تستطيعين أن تعيشيها ، لأنك مثلها تمامًا.

شعرت بقلبي يتسارع.

-مثلي؟ كيف؟

اقترب خطوة ، حتى كدت أشم رائحة رماد قديم تنبعث منه.

-أنتِ نفسك كتاب غير مكتمل. ولهذا استطعتِ الدخول.

ولهذا تسمعين صدى من لا يسمعه أحد.

صمتّ ، وشيء ما في داخلي انكسر.

كنـــت دائمًـــا أشـــعر أننـــي ناقصـــة ، غريبـــة، أن هناك فجوة لا يملؤها شيء.

لكـــن أن أُوصَـــف بـــأنني كتـــاب نـــاقص .. كـــان أقسى مما تخيلت.

-ولماذا أنا هنا؟ سألته.

-لتتعلمـــي .. المكتبـــة لا تختـــار إلا مـــن يملـــك جرحًا يشبه جروحها.

كـــل كتـــاب تفتحينـــه يتـــرك ندبـــة فيـــك ، وكـــل ندبة تجعلك أقرب للحقيقة.

-وأي حقيقة؟

نظر إليّ طويلًا ، ثم قال :

-الحقيقـــة أن النهايـــة لـــم تُكتـــب بعـــد .. لا نهايتك ، ولا نهايتهم.

"هـــل نحـــن نعـــيش حياتنـــا حقًـــا ، أم نكمـــل ســـطورًا تركهـــا الآخـــرون؟ هـــل النـــاقص فينـــا

لعنـــة تجعلنـــا نتشـــظى .. أم هبـــة تمنحنـــا القـــدرة علـــى عبـــور مـــا لا يجـــرؤ غيرنـــا علـــى لمسه؟"

ســـكتت المكتبـــة لوهلـــة ، ثـــم ســـمعت همهمـــة خافتـــة مـــن بـــين الرفـــوف ، كـــأن آلاف الكتب تتنفس معًا.

أمســـك أمـــين المكتبـــة بكتـــاب أســـود ، ثقيـــل وسلمه إليّ.

-افتحيه وستفهمين.

ترددت ، لكن فضولي كان أقوى.

مـــددت يـــدي ، ومـــا إن لمســـت غلافـــه حتـــى شعرت ببرودة تقطع أوصالي.

فتحته وانسكبت العتمة عليّ.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الرابع

مرآة الروح

فتحت الكتاب الأسود ، فانسكبت الكلمات على عيني كأنها دموع قديمة.

لم تكن حروفًا عادية .. كانت كأنها تتنفس ، تتحرك، تنبض بوجع يشبه وجعي.

صفحة بعد صفحة ، كنت أقرأ لحظات من طفولتي ، جروحي التي أخفيتها نظراتي الصامتة ، وحتى الأحلام التي لم أخبر بها أحدًا .. تجمدت.

-هذا كتابي؟

ضحك أمين المكتبة بخفوت ، صوته أشبه بصدى قادم من بئر :

-نعم ، لكنه ليس مكتملًا .. المكتبة تسجل كل ما مررتِ به ، لكن النهاية ما زالت معلقة.

قلبت الصفحة التالية فلم أجد شيئًا بياض مطلق ، صامت ، يبتلع كل محاولة للقراءة كأنني اصطدمت بمرآة عمياء.

همستُ :

-لماذا توقفت؟

اقترب الرجل ، وعينيه تغوصان فيّ :

-لأنكِ لم تكتبي بعد .. حياتك توقفت بين أن تكوني أنتِ أو أن تصبحي مجرد عبور لغيرك.

أغمضت عيني صور وجوه كثيرة ظهرت : وجوه من لمستهم يومًا ، من

اجتـــزت مشـــاعرهم دون إذن، مـــن تركـــت في صدري ندوبًا لا تُشفى.

كنـــتُ أخشـــى دائمًـــا أننـــي لســـت ســـوى انعكـــاس ، أننـــي لا أملـــك حيـــاة حقيقيـــة بـــل أعيش على بقايا الآخرين.

فتحت عيني، قلت بحدة :

-لا أريد أن أكون ناقصة!

ضحك بصوت أعمق :

-إذن املئـــي البيـــاض .. اكتبِـــي النهايـــة بنفسك.

لكـــن تـــذكّري ، كـــل كلمـــة ســـتكتبينها ســـتأخذ شيئًا من روحك.

مدّ إليّ قلماً أسود ، بارد الملمس.

-هـذا هـو "قلـم الندبـة" كـل مـا يُكتـب بـه لا يُمحى ، لأنه يُحفر فيك أولًا قبل الورق.

ارتجفت يدي بين رغبة في أن أكتب كي أكتمل ، وبين خوف من أن أُفقد نفسي للأبد.

أغمضت الكتاب فجأة.

-لستُ جاهزة.

ابتسم أمين المكتبة ، كأنه كان ينتظر هذه الإجابة.

-لا أحد يكون جاهزًا للكتابة عن نفسه. لكن تذكري البياض ينتظرك ، ولن يبقى أبيض للأبد

"أحيانًا ، ما نخاف أن نكتبه عن أنفسنا . هو بالضبط ما يحررنا، لكن أيّ حرية تُبنى على ندبة؟ وأي ندبة تكفي لتمنحنا اكتمالًا؟"

صــوت خافــت ارتفــع مــن رف بعيــد ، كتــاب آخر يهتز كأنه يستدعيني.

نظــرتُ نحــوه ، وعرفــت أن الرحلــة لــم تنتــه بعد بل بدأت

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الخامس

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الكتاب الأعمى

كان الكتاب الأعمى يلمع على الرف الأعلى ، صغيرًا كطفل يتيم، لكنه أثقل من كل الكتب التي رأيتها.

مددت يدي نحوه ، وما إن لمسته حتى انطفأت أضواء المكتبة.

كل شيء غرق في ظلام دامس.

لم يبق إلا وهج الكتاب بين يديّ يتنفس ككائن حي.

فتحت الغلاف .. صفحات بيضاء ، بلا كلمة.

لكنني سمعت صوتًا داخليًا ، لم يكن غريبًا، كان صوتي أنا، يهمس :

-اكتبي.

ارتجفت يدي.

بمجـــرد أن لمســـت الصـــفحة الأولـــى بـــالقلم ظهر سطر لم أكتبه :

-"اســـمي يونـــا وُلـــدت فـــي عـــالم لا يعـــرف اسمي."

شـــهقت .. لـــم أكتـــب هـــذه الجملـــة ، لكنهـــا كانـــت حقيقيـــة جـــدًا ، كـــأن الكتـــاب يســـرق أفكاري الدفينة ويحوّلها إلى حبر.

قلبت الصفحة.

كـــل مـــا خبأتـــه فـــي صـــمتي ، كـــل خـــوف لـــم أبـــوح بـــه ، كـــل حـــب وألـــم وعقـــدة .. كـــان ينزف على الورق وحده.

لم أكن أكتب ، كنت أُعرَّى.

فجـــأة ظهـــر انعكـــاس وجهـــي علـــى الصـــفحة، لكن لم يكن وجهي كما أعرفه.

كانـــت هنـــاك نـــدوب علـــى الخـــدّين ، دمـــوع متجمدة في العينين ، ابتسامة مشروخة.

-هذا أنا؟!

سألته كمن يسأل مرآة.

أجابني بصوت بارد ، من داخل الأوراق

-هذا ما كنتِ تحاولين إخفاءه عن نفسك.

كلمـــا قلبـــت صـــفحة ، وجـــدت نســـخة أخـــرى مني :

يونـــا الخائفـــة ، يونـــا الغاضـــبة ، يونـــا التـــي أرادت أن تحـــب ولـــم تُحـــب ، كـــأن الكتـــاب كان يعرض عليّ أشباحي الخاصة.

ثم توقفت عند صفحة سوداء بالكامل.

وســـطها كلمـــة واحـــدة حُفـــرت كجـــرح : "الخيار".

أدركت حينها الكتاب الأعمى ليس فارغًا بل هو مرآتي.

إن كتبت فيه النهاية ستكون نهايتي أنا.

صوت أمين المكتبة عاد يهمس في الظلام:

-ما تكتبينه هنا، يونا .. سيغيّر مصيرك إلى الأبد ، إما أن تختاري أن تعيشي مكشوفة ، أو تمزقي الصفحة وتعودي صامتة.

ارتجف قلبي.

قلمي فوق الصفحة ينتظر.

كنت أعرف أنني إن كتبت حرفًا واحدًا لن أعود كما كنت.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل السادس

الحبر والدم

أمسكت بالقلم ، يدي ترتجف ، والصفحة السوداء تترقب أن أكتب.

وضعت رأس القلم فوقها فإذا بخط أحمر ينساب لا كالحبر بل أثخن ، أكثر دفئًا دم.

شهقت .. القلم يقطر دمي!

صرختُ وأنا أتركه ، لكنه ظل يكتب وحده :

-"كل ما تحاولين كتمانه سيُكتب هنا بدمك."

الصفحات تقلب نفسها بسرعة ، وكل صفحة تحمل مشهدًا لا أريد رؤيته :

طفولتي وأنا أبكي وحدي..

ليلــة كنــت أمــدّ يــدي طلبًــا للنجــدة ولــم يلتفــت إليّ أحد..

حبي الأول الذي طعنني بصمته..

كلهــا مشــاهد محفــورة فــي داخلــي ، لكــن رؤيتهــا مكتوبــة بالــدم جعلتنــي أرتعــش كأنها تحدث الآن.

ثم ظهر اسم .. عليّ.

لم أكتبه ، لكن الكتاب كتبه.

اســمه ســال بالــدم عبــر الصــفحة ، كــأن الحروف تتعذب.

مــددت أصــابعي للمــس الاســم ، فــإذا بالــدم يلتصق بيدي ، يلسعني كالنار.

سمعت همسًا من داخل الكتاب :

-"لا يمكنك إنكار من يسكن دمك."

ارتجفـــت ، أردت أن أغلـــق الكتـــاب لكنـــه كان يبتلعني.

الحـــروف تتطـــاير مـــن الصـــفحات وتلتصـــق بجلدي ، تخترقني مثل شظايا.

ســـقطت علـــى الأرض ، والكتـــاب مفتـــوح فوق صدري.

شـــعرت بـــأن قلبـــي يُنتـــزع ، وكـــل نبضـــة تتحول إلى كلمة مكتوبة على الصفحات.

كـــأن حيـــاتي كلهـــا تُختصـــر فـــي نـــصٍّ دمـــوي لا نهاية له.

فجـــأة اختفـــت الكلمـــات ، بقيـــت صـــفحة واحـــدة ، عليهـــا جملـــة لـــم تُكتـــب بالـــدم ، بـــل بنور أبيض شاحب :

-"لـــن تخرجـــي مـــن هـــذا الكتـــاب إلا إذا اخترتِ :

هل أنتِ القارئة أم المكتوبة؟"

تجمدت عيناي.

هل أنا التي تكتب الكتاب؟

أم أن الكتاب هو الذي يكتبني؟

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل السابع

الغرفة المفقودة

فتحت عيني .. لم أكن على الأرض ، ولا في غرفتي ، ولا حتى في العالم الذي أعرفه.

كنتُ وسط ممر طويل ، جدرانه من صفحات بيضاء ، أرضيته من حبر سائل يلتصق بقدميّ.

كل خطوة كنت أخطوها تترك أثراً أسود وكأنني أكتب طريقي بنفسي.

على الجدار الأول ، ظهرت جملة بخطٍ متقطع :

"الغرفة التي تبحثين عنها ليست مكانًا بل قرارًا."

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تقــدمتُ بــبطء ، الممــر ينقســم إلــى ممــرين آخــرين ، ثــم ثلاثــة ، ثــم عشــرة .. متاهــة من الورق لا نهاية لها.

كــل جــدار يحمــل كلمــة مختلفــة : خــوف، ذكرى ، ندم ، حب ، فقدان.

كــأنني أعبــر داخلــي ، لا داخــلاً ممــرًا حقيقيًا.

سمعت صوت خطوات خلفي.

التفــتُّ .. لــم أرَ أحــدًا ، لكــن انعكاســي كــان يقف هناك!

نعــم ، نســخة منــي ، تحمــل وجهــي عيــوني حتى رعشتي.

لكنهــا لــم تتحــرك كمــا أفعــل ، بــل ابتســمت ببرود وقالت :

-"لـــن تجـــدي الغرفـــة ، إلا إن تركتِنـــي أدخـــل مكانك."

ارتجـف قلبـي .. هـل هـي أنـا التـي سـجنتها الحيـــاة؟ أم نســـخة صـــنعتها الصـــفحات لتضللني؟

ركضـــتُ بعيـــدًا ، أســـمع صـــدى ضـــحكتها يلاحقني.

حتـى توقفـت عنـد بـابٍ أسـود ، وحيـد وسـط البياض.

لـــم يكـــن عليـــه مقـــبض بـــل كـــان مكتوبًـــا فوقه:

-"ادخلـــي ، إن كنـــتِ مســـتعدة أن تتركـــي جزءًا منك خلف هذا الباب."

وضعت يدي على الجدار ، فظهر أمامي قلبي ، ينبض خارج صدري ، يتوهج بين يديّ.

أدركت أن الغرفة المفقودة ليست مكانًا سأدخل إليه بل روحًا سأخسرها كي أستطيع العبور.

ابتسم الباب وانفتح ببطء .. وخلفه كان نور غريب ، يغمرني بدفء لم أعرفه منذ زمن بعيد ، لكن صوت انعكاسي عاد يهمس :

-"اختاري بحذر .. فمن تتركينه هنا لن يعود أبدًا."

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثامن

المرآة التي لا تكذب

دخلتُ الغرفة المفقودة ، لم تكن كما توقعتها ، لا جدران ، لا سقف ، لا أرضية .. فقط فراغ رمادي يمتد بلا نهاية.

وفي وسطه مرآة ضخمة ، معلّقة في الهواء ، بلا إطار ، بلا ظل.

اقتربتُ بخطوات مترددة ، كنت أعرف أن هناك شيئًا بانتظاري ، شيء لم أرغب يومًا في مواجهته.

نظرتُ داخلها لكن لم أرَ وجهي ، رأيت طفلة صغيرة تجلس في زاوية مظلمة تضع يديها على أذنيها ، تبكي بصمت.

ثـــم تغيـــر المشـــهد مراهقـــة بوجـــه شـــاحب تحمـــل ابتســـامة مزيفـــة ، محاطـــة بأصـــوات لا تفهمها.

ثـــم شـــابة تـــركض بـــلا اتجـــاه ، تلمـــس النـــاس واحـــدًا تلـــو الآخـــر ، وتغـــرق فـــي مشـــاعرهم حتى تكاد تختفي داخلهم.

صرختُ : "توقفي! هذا ليس أنا!"

لكن المرآة لم ترحمني.

انعكاســـي ظهـــر أخيـــرًا لكـــن لـــيس بـــوجهي بـــل بعيـــون ســـوداء لا قـــاع لهـــا ، وفـــمٍ يبتســـم ابتسامة مكسورة.

قـــال بصـــوتي لكنـــه أعمـــق وكأنـــه خـــرج مـــن بئر :

-"أنـــا حقيقتـــك .. أنـــتِ لـــم تعيشـــي لنفســـك أبـــدًا بـــل عشـــتِ كـــل مـــا شـــعر بـــه الآخـــرون وتركتِ نفسكِ جائعة ، عارية ، منسية."

دمـــوعي ســـالت بـــلا إذن ، حاولـــتُ لمـــس الزجـــاج ، لكنـــه كـــان بـــارداً كـــالثلج ، وقلبـــي ازداد ثِقلاً.

فجـــأة انقســـمت المـــرآة إلـــى آلاف الشـــظايا كل قطعة تعكس وجهاً مختلفاً لي :

وجه خائف.

وجه غاضب.

وجه منهار.

وجه مبتسم لكنه فارغ.

شـــظايا المـــرآة أحاطـــت بـــي ، وأدركـــت أننـــي لســـتُ شخصًـــا واحـــدًا بـــل متاهـــة مـــن الوجـــوه اقتربتْ إحداها من أذني وهمست:

-"لـــن تجـــدي ذاتـــك إلا إذا اختـــرتِ أي وجـــه ستذبحين ، وأي وجه ستتركين يحيا."

ســـقطتُ علـــى ركبتـــي ، لأول مـــرة لـــم أخـــف من الآخرين بل من نفسي.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل التاسع

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

العبور

كنتُ محاصرة بين شظايا المرآة.

كل قطعة تنزف وجهاً من وجوه نفسي وجميعها يطالبني بالبقاء.

سمعتُ الهمسات تزداد:

-"اختاري ، اختاري، أو ستبقين هنا للأبد."

كنت أعرف أن العبور لن يُفتح إلا بتضحية ، عليّ أن أذبح أحد وجوه نفسي ، أن أقتل شعوراً ظل يرافقني منذ البداية.

رأيتُ أمامي ثلاثة وجوه أكبر من البقية:

الطفلة بدموعها البريئة ، بصرخاتها المكتومة.

المراهقة بابتسامتها الزائفة ، التي تعلمت أن تخفي كل شيء.

المرأة بقدرتها على عبور الآخرين وقدرٍ ثقيل لا يُطاق.

كلهم أنا .. وكلهم عبء ، تقدمتُ نحو الشظايا يدي ترتجف.

كان عليّ أن أقرر أي جزء مني سيموت وأي جزء سيكمل العبور.

وضعت يدي على قلب الطفلة .. شعرت بدفء موجع كأنها آخر ما تبقى من براءتي.

ثم نظرت إلى المراهقة .. ورأيت كل الأكاذيب التي حملتها كي تظل واقفة.

ثم إلى المرأة التي لم تعد تعرف نفسها من شدة الغرق في الآخرين.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

صرختُ : "كفى!"

اختيـــاري لـــم يكـــن ســـهلاً لكنـــه كـــان ضرورياً.

رفعـــت الشـــظية الحـــادة وغرزتهـــا فـــي أحـــد الوجوه.

المـــرآة اهتـــزت ، الشـــظايا التهمـــت الظـــلام

وفتحـــت فـــي الفـــراغ بابًـــا مـــن نـــورٍ أبـــيض مبهر.

خطـــوت نحـــوه .. جســـدي يرتجـــف ، روحـــي مثقلة.

كنت أعرف أنني لم أعد كاملة.

جزء مني مات هنا .. وجزء آخر يعبر.

ومـــا إن وضـــعت قـــدمي فـــي العبـــور ، حتـــى سمعت همسة خلفي :

"الـــذين يتركـــون أنفســـهم هنـــا لا يعـــودون أبدًا كما كانوا."

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل العاشر

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الوجه الذي بقي

المـــرآة لـــم تكـــن مجـــرد زجـــاج... كانـــت فمًـــا مفتوحًـــا ينتظـــر أن يبتلـــع أحـــد وجوههـــا الثلاثة.

أحســـت أنفـــاس الطفلـــة ترتجـــف خلـــف كتفيهـــا، ودمـــوع المراهقـــة تتســـاقط علـــى الأرض، وابتسامة المرأة تلمع كخنجر.

صوت داخلي هادر همس:

-«لـــن تعيشـــي بوجـــوه متناقضـــة بعـــد الآن، اختاري واحدًا، واقتلي الباقي.»

اقتربت يونا من المراهقة.

كانـــت تلـــك المراهقـــة نســـخة منهـــا، مليئـــة بالأقنعـــة، بالكـــذب الأبـــيض، بـــالركض خلـــف حبٍّ لا تجرؤ على تسميته.

رفعت يدها المرتعشة ولمست جبينها...

في اللحظة ذاتها، انطفأت العيون المراهقة كشمعة في مهبّ ريح.

سقطت على الأرض، واختفت.

لم يبقَ إلا الطفلة والمرأة.

الطفلة تجثو بصمت، والمرأة تنظر ببرود.

لكن المرآة لم ترَ إلا وجهًا واحدًا: وجه يونا الحقيقي.

لم يكن بريئًا كالطفلة، ولا مخادعًا كالمراهقة، ولا غامضًا كالمرأة...

كان وجهًا آخر تمامًا، مزيجًا من كل ما قُتل، وكل ما بقي وجهًا لم تعرفه من قبل، ولأول مرة... ابتسمت المرأة.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الحادي عشر والاخير

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الصمت الأخير

سارت يونا في الممرّ الطويل.

لم تعد تسمع بكاء الطفلة ، ولا همس المراهقة ، ولا صمت المرأة.

لم يكن معها أحد .. غير ظلٍّ لا يشبهها.

اقتربت من الباب الكبير ، باب لم تجرؤ يومًا على لمسه.

حين وضعت يدها عليه ، ارتجف العالم من حولها ، وكأن كل الوجوه التي قتلتها عادت لتصرخ دفعة واحدة.

فتحت الباب ، لم يكن خلفه ضوء ولا ظلام بل شيء آخر ، شيء لم يصفه إنسان من قبل.

ترددت لحظة ثم ابتسمت ابتسامة لم يرها أحد وعبرت.

أُغلـــق البـــاب وراءهـــا بصـــوت مكتـــوم

وظـــلّ صـــدى ابتســـامتها يتـــردّد فـــي الفـــراغ

إلى الأبد

الخاتمة

"إن وصلتَ إلى هنا .. فاعلم أنّك كنت تعبر معي ، قد تظن أنك تقرأ حكايتي لكن ربما كنت أنت الحكاية ، لا تبحث عن وجهي الرابع .. فهو ليس لي وحدي ، هو أنت في مرآتك."